

المؤتمر العالمي الحادي عشر للوحدة الإسلامية

–(170)– حسين مؤنس إلى فريضة الحج بقوله: (...) أما الحجاج فقد كانت قوافلهم تشق

أرجاء العالم الإسلامي في مسيرة دائمة لا تتوقف ولا تبالي بالعقبات الطبيعية من جبال وصحاري وبحار، ولا تتراخى بسبب أخطار الحروب والقتال والفتن، فقد كان حجاج بيت الله الحرام من الأندلس والمغرب والسودان والصين والملايو يخرجون في رحلة الحج قبل مواعده بعام أو أكثر أو أقل، ومعنى هذا أنه في كل وقت تقريباً كانت هناك قوافل حجاج تقصد بيت الله الحرام، أو تعود منه الوفاء بعد الوفاء من الناس يخرجون من أطراف الأرض الأربعة ووجهتهم بيت الله... فكأنما قوافل الحج كانت أسلحة محارث قوية تشق الأرض الإسلامية وتقلب تربتها وتأذن للشمس العقيدة في أن تتخللها في عمق وتبعث فيها الحياة، وهذا ولا شك كان في تقدير الخالق سبحانه حينما فرض على أمة الإسلام الحج إلى بيته الحرام(1). لقد جاء الإسلام والعرب يمارسون الحج لكنه كان حجاجاً تتخلف الجاهلية وتشوبه مفاهيمها، فكانوا يتخذونه موسماً للتفاخر بالآباء والأنساب، وهذا يعني أن الشخصية المحلية كانت مسيطرة على أجواء الحج. فجاء القرآن ليدعو إلى ذكر الله بدلاً عن ذكر الآباء. قال تعالى: ﴿فَلِمَ ذَا قَصَدْتُمْ مِّنَ ذَا سِرِّكُمْ؟ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشْدَّ ذِكْرًا؟﴾ (2). وقد كرّس النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم الدور العالمي للحج في حجة الوداع عندما خطب في المسلمين خطبته الأخيرة التي كان منها قوله: «أيها الناس إن ربكم واحد وأباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب إن أكرمكم

مؤنس، د. حسين، عالم الاسلام، ص 291 - 292. 2 - سورة البقرة - الآية: 200.